عيد بنك مصر

وخدماته الاقتصادية والاجتماعية

[احتفل بنك مصر في الاسبوع الثاني من شهر مايو الماضي بانقضاء خمسة عشر عاماً على تأسيسه ، فكان الاحتفال عيداً قومياً عاماً اشتركت فيه جميع طبقات الامة ، حكاماً ومحكومين ، رجالا ونساء ، كباراً وصغاراً ، وطنيين واجانب على السواء . وفي الجانب الاول من هذا المقال وصف للرسالة الروحية التي تمثلها حياة قطب من اقطاب العمل مثل طلعت باشا وصحبه الكرام . وفي فلك متسطات من خطبة طلعت بك التنفيذية المسهبة تبين تدرج ارتقاء البنك من الناحية المالية ، وتصف الخدمات الاجتماعية الجليلة التي اداها للامة المصرية الكريمة في عمار نهضتها الحديثة]

— ١ —

أتخلق الظروف الرجال او تخلق الرجال الظروف او ينتهز الذين يؤتون مقام الزعامة والقيادة والسير في طلائع الجماعات ما يسنح لهم من فرص وما تهيئه الحوادث من شعور فيقدمون على اعمالهم ومشروعاتهم ويحققون ما يجول في خواطرهم وهم يرنون الى المستقبل بعين الرجاء المبني على صحة القصد وصدق العزيمة

وقد تتعذر الاجابة عن هذه الاسئلة الثلاثة بالضبط الذي يتوق اليه المعجبون بالمفلحين والابطال وقد لا يكون الجواب — اذا تيسر — واحداً في جميع الحالات

غير ان المحقق هو ان من آيات عناية الله بخلقه ان ينفحهم في ثنايا الزمان برجال — ونساء — يجدون لذة الدنيا وهناءة العمر في ارتياد مجاهل الحياة لخدمة المجموع — هؤلاء هم بناة الحضارة ومرشدو الشعوب وارباب الزعامة في ما ينفع الانسان من مدنية وثقافة وهناءة ويسر مادي

وما كان الله ليحرم كنانته في ارضه مما حبا به سواها فقد تجملت نهضة مصر الحديثة بظهور رجال ابوا القعود في غير مرفق واحد من مرافقها وتمردوا على المذاهب التي علقت بالاذهان ورسخت في النفوس فتوسلوا بما يتوسل به كل بصير صبور وتم لهم الفوز وقيض لبلادهم الربح والظفر

ولقد كان شهر مايو من الشهور المذكورة في اعوام هذه النهضة لما بدا من شعور امة بأمرها وقد اتيح لها اظهاره فكان اغتباطها هذا واشتراك جميع طبقات الامة اصطع دليل على ان الذين اسسوا بنك مصر والذين اعدوا مشروعه وبنوا الامل بل اليقين بنجاحه وحققوا الامل وأيدوا اليقين اصابوا من هذه الامة الكريمة اقصى ما تصبو اليه نفس المواطن ونالوا عطفها وقدرها وشكرها وهو اعظم جزاء يحفل به عظيم النفس وكبير الفؤاد

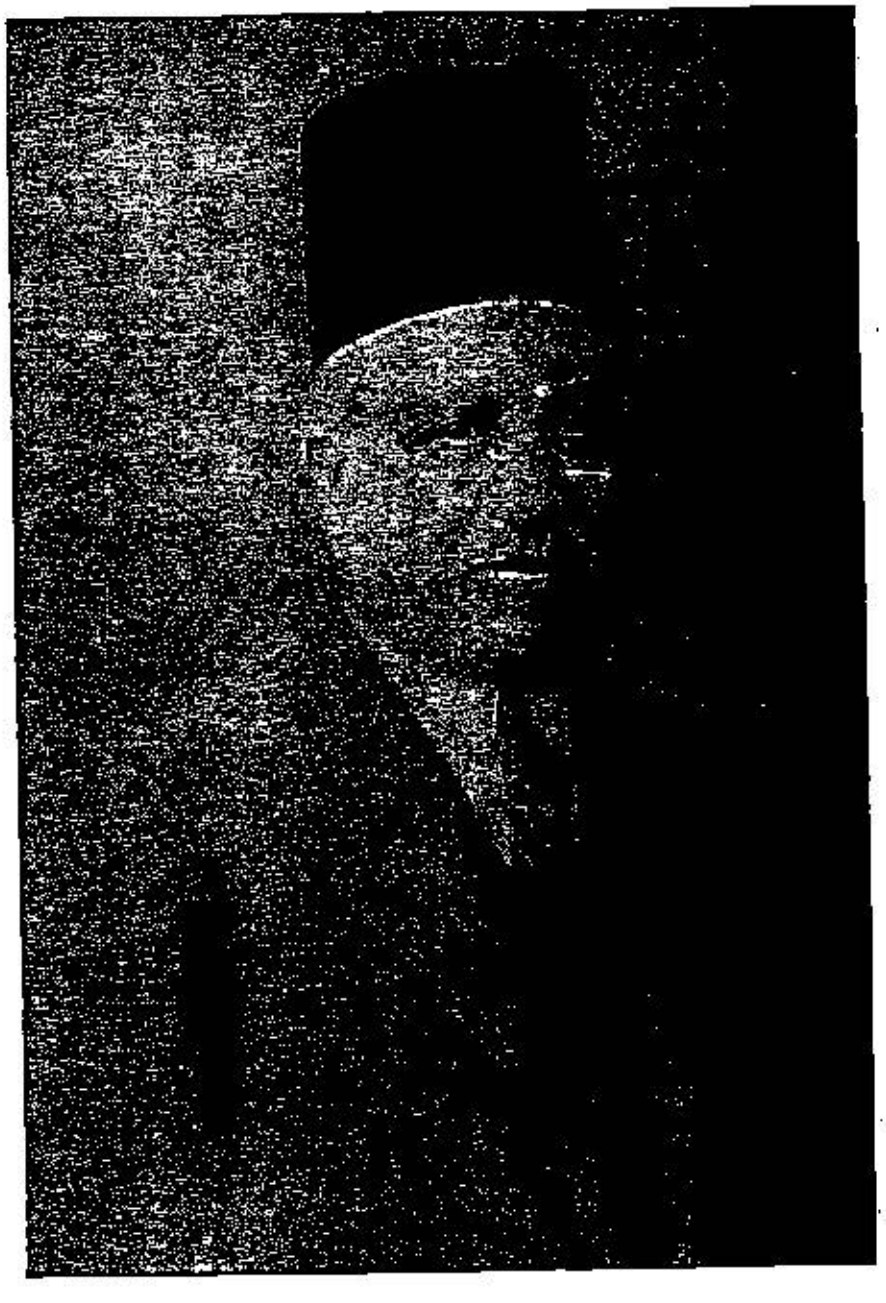

صاحب السعادة طلعت باشا حرب

مستعارة من مطبعة بنك مصر

ان طلعت حرب وبنك مصر ليسا شخصاً ومؤسسة بل هما عنوان ورمز — الاول على الرجولية الكاملة ووقف الحياة والقوى على الخدمة العامة. والثاني الى ما تنتمي هذه الامة وما هي بالفتهُ باذن الله وبصدق خدمة ابنائها الممتازين وافطابها المختارين وتعاونهم على ما فيه خيرها وصلاحها

ولطالما وددنا لو ان طلعت حرب باشا يكتب مذكراته ولاسيما ما يختص منها بمشروع البنك وكيف خطر له وكيف كيفهُ واعده وما لقي من تشجيع وتنشيط وما قابل من معارضة وتثبيط همة وان يذيع ما يستطاع اذاعته من ذلك الآن ليكون منهُ بيان للناس وقدوة ومثال للشبيبة المتعلمة ولاسيما التي لا تعرف كيف تهتدي الى طريق العمل لنفع الشبان وخدمة وطنهم

فان في هذا السفر المكتوم حتى اليوم عبراً ودروساً قد تذاع وقد تظل مكتومة الا عن الذين عاصروها واطلعوا عليها لاسباب شتى

***

ولكن الآية الكبرى ستظل ماثلة للعيون والاذهان في استمرار هذا العامل العظيم واخوانه الذين يضارعونهُ في شوقهم للخدمة العامة واجتهادهم ونشاطهم واخلاصهم ونزاهتهم — واستمراره واستمرارهم في العمل المنتج وابتكار المشروعات التي تغتبط بها الأمة والبلاد وتعزز ما أسس وتحسينه

ان عمر بنك مصر الآن ستة عشر عاماً من عمره الطويل المبارك ولكن متانة مقامه في النفوس وعمره الادبي اذا صحَّ هذا التعبير لا يقلان عن اهرام الجيزة العظيمة مع مراعاة الفرق في ما يجنى من النفع من مؤسسة المدافن الملكية ومؤسسة الحياة الشعبية

ولم يترك الشعراء والخطباء والصحافيون والكتاب لكاتب ما يقال سوى مشاركتهم في ترديد الحمد على هذه النعمة التي اسبغتها العناية على مصر والدعاء باستمرار نجاح هذه الجماعة الكريمة المختارة

***

ولكن للمقتطف اقتراحاً يعرضه على المفكرين والمعجبين — فقد اقترحوا نصب تماثيل وتسمية شوارع وكلا الاقتراحين جميل وجدير بأن يوضع موضع التنفيذ

فلماذا لا يعزَّزان بعمل ثالث قد يكون اهم في دلالته على المعنى المنشود والقصد المقصود

وذلك بأن يصاغ كتاب تهنئة وشكر ودعاء لطلعت حرب باشا واخوانه ويكتب بأجمل خط على رق غزال ثم يطبع منهُ الوف من النسخ على ورق متين وفي كل ورقة مكان لمائة امضاء وتعرض هذه الاوراق بصيغة كتاب التهنئة ليمضيها الذين يقدرون بنك مصر ورجاله واعماله قدرها وقدرهم ثم تجمع هذه الاوراق في مجلدات وتهدى الى بنك مصر ويوضع الكتاب الاصلي في اطار شرقي نفيس ويقدم الكل هدية وتذكاراً الى طلعت حرب باشا واخوانه تنويهاً بفضلهم ودليلاً على اعتراف أمة بأسرها بجليل خدمتهم

— ٢ —

انشاء البنك وبرنامجه

في اليوم السابع من شهر مايو سنة ١٩٢٠ — بشّر الناس بميلاد بنك مصر واضيف الى تاريخ النهضة المصرية صفحة جديدة لتسجيل هذا الحادث التاريخي السعيد. وان خمسة عشر عاماً، تمر تباعاً على بنك صميم في مصريته، لم يألف المصريون مثله من قبل، ليس بالقليل. بل ان مرور هذا الزمن على عمل ما دليل حي على قوة هذا العمل ومتانته، وبرهان ساطع على ثباته وحيويته بل وضرورته

وبنك مصر الذي انشيء للمصريين جميعاً ولخدمة المصريين جميعاً قد برهن طوال حياته على انهُ عمل نافع ثابت الدعائم متين الاساس وبرهن ايضاً على انهُ قوة مصرية كانت كامنة في القلوب والخواطر فاظهرتها الامة بالعزيمة والثبات وانكار الذات

وبرهن كذلك على انهُ ضرورة لم يكن من وجودها بد لاشباع حاجة كانت تحس بها الامة ولم يكن عنها محيد لتصوير الناحية الاقتصادية، بعد ان ظلت صدراً من الزمان عاطلة عن التصوير والبيان

كان تأسيس بنك مصر سنة ١٩٢٠ مفاجأة ادهشت الجميع. واقبل بعضهم على بعض — من فرط ما دهشوا — يتساءلون عن مستقبل هذا المشروع، وعن كفاية الذين يتولون اموره، ويهيمنون على شؤونه، وهل من المستطاع استعمال لغة البلاد في اعماله، او هل يجد حاجته من ابناء الامة الذين يستطيعون ان يحملوا اعباءه بسهولة، وما مدى تأثيره في الناحية الاقتصادية المصرية، وما مبلغ حظه من التوفيق في انشاء فروعه في الداخل والخارج واتصاله بامثاله هنا وهناك

وتلهف الناس في كثير من الاهتمام على ما عسى ان يكون الرد على امثال هذه الاسئلة فما كان جواب البنك الاّ ان قال: — « هاؤم اقرأوا كتابيه. ثم احكموا بالعدل والقسطاس المستقيم...»

ونحن اذ نتحدث بنعمة الله علينا، لا نرى ابلغ في التدليل على توفيق الله الاّ ان نعرض ما كان المؤسسون قد ارتضوه واقروه برنامجاً للبنك منذ سنة ١٩٢٠

جاء في برنامج البنك « انهُ يعمل كل ما يعمله بنك تجاري مثله لا فرق فيمن يعامله بين ان يكون مصرياً او غير مصري فالمصرية لم تشترط الا في رأس المال، اما فيما عدا ذلك فابوابه مفتوحة لكل عميل »

« وان في البلاد اموالاً كثيرة مخزونة ومعطلة وظيفتها في الاصل التداول بين الناس ولها في كل حركة بركة، وفي كل دورة ربح رابح. ففي حبسها ووقوف هذه الحركة وضياع لهذا الربح والفائدة التي تعود على البلاد من زيادة ارباح بنيها فضلاً عن تعرض هذا المال للضياع بالسرقة او الحريق او ما اشبه. وفي البلاد ودائع وامانات كثيرة متشرة معظمها في بلاد غير البلاد. ولو ثمرت هذه وتلك في الشؤون المصرية وصوعفت بها التجارة والصناعة والزراعة المصرية لزادت الثروة المصرية

اضعافاً مضاعفة ولكان ذلك عاملاً قوياً على اصلاح حالنا الاقتصادية وايجاد الكفاءة المالية التي هي الاساس المتين للرقي المطلوب »

وان البنك « سيشجع المشروعات الاقتصادية المختلفة التي تعود عليه وعلى البلاد بالربح العظيم ويساعد على ايجاد الشركات المالية والتجارية والصناعية والزراعية وشركات النقل بالبر والبحر وشركات التأمين بانواعها ويتعهدها حتى تنمو وتقوى ويشتد ساعدها . وبالجملة يعمل على ان يكون لمصر صوت مسموع في شؤونها المالية ويدافع عن مصالحها كما تدافع البنوك عن مصالح بلادها »

« وسيؤدي بنك مصر لجميع عملائه كل الخدمات المالية . وسيعمل بالاتحاد مع حضرات التجار على تنظيم الحالة التجارية وانشاء الغرف التجارية والنقابات والشركات التعاونية وغيرها للدفاع عن مصالح اعضائها ودرس انجع الطرق لترقية شؤونهم »

« وسيعمل على بث روح العمل والتعاون والتضامن والنظام في الشبيبة وانماء ملكة الاقتصاد والتجارة فيهم والحث على وضع اساس التربية الاقتصادية العملية في البلاد وجعل تعليم الحساب والنظام الحسابي اساساً في مناهج التعليم فيها »

هذه خلاصة برنامج البنك : فهل قام بنك مصر بجميع ما وعد به في مدى الخمسة عشر عاماً الماضية ؟ اننا نترك لعملاء البنك الجواب عن ذلك . ونظن انهُ لا يخرج عن ان بنك مصر قد ابلغ الرسالة وقام بواجبه خير قيام بقدر ما استطاع . وهذه تقارير البنك السنوية التي احاطت بكل الارقام والاحصاءات الدالة على مدى تقدم البنك ومبلغ ما قام بهِ من خدمات للزراعة والصناعة والتجارة والتعاون . ومن هذه التقارير يتضح لكم ان بنك مصر أصبح يحتل المكان الاول بين البنوك التي ترد باسمها الاقطان في الاسكندرية . كما أصبح الاول — بعد البنك الاهلي المصري — بالنسبة لمقدار الودائع والامانات

رأس المال والودائع

بدأ بنك مصر صغيراً ، كما يبدأ كل شيء . فقام في عام ١٩٢٠ برأس مال متواضع قدره ثمانون الف جنيه . ثم سجلنا مغتبطين ، في ٢٦ يناير سنة ١٩٢٥ وصول رأس المال الى نصف مليون جنيه . كما سجلنا مغتبطين ايضاً ، في ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٢٧ بلوغه المليون الكامل

وقد بلغ عدد المساهمين في البنك ٩٣٥٦ مساهماً في ٣١ ديسمبر ١٩٣٤ بعد ان كان ١٢٦ مساهماً في السنة الاولى . وبلغت قيمة الارباح التي وزعت على المساهمين مدى الخمسة عشر عاماً ٨١٤٩١٦ جنيهاً خص السهم الواحد منها منذ سنة ١٩٢٠ مبلغ ٤ جنيهات و٤٣٠ مليماً اي بنسبة ١١٠٪ من قيمة السهم الاسمية وهي اربعة جنيهات

هذا عدا احتياطات البنك المقتطعة من ارباحه وقد بلغت في ٣١ ديسمبر ١٩٣٤ كما يأتي : —

جنيه مصري	
٣٧٥ ٧٣٢	احتياطي قانوني
١٨٠ ٠٠٠	احتياطي فوق العادة
٢٣٥ ٠٠٠	المال المخصص لتأسيس وانماء الشركات الصناعية والتجارية
٧٩٠ ٧٣٢	خلاف مبلغ ٥٠٦٣٢ قيمة المجموع المرحل من الارباح للسنوات المقبلة

واذا اردنا تقدير رأس مال البنك على حقيقته ، وجب ألاّ نغفل شهرة البنك في مصر وغيرها . ومقدار تأثيره في المحيط المصري المالي . وقيمة كلمته المسموعة في كل مكان . وعظم الثقة التي منحتها له الامة بحكومة وشعباً . وكذلك رضا الجميع عن اعماله وجهوده المختلفة — فان كل هذا له قيمته . وله تأثيره ، وله وزنه ، عند ضبط رأس مال البنك على وجهه الصحيح

واذاً فلا يصح ان نعتبر رأس المال مليوناً واحداً من الجنيهات وهو في الحقيقة اضعاف مضاعفة انه يربي في غير مبالغة على عشرات الملايين ... !

أما الودائع فقد كان امرها ملحوظاً بعناية عند انشاء البنك ، وكان الاكثار منها هو اعتمادنا في تحقيق ما نصبو اليه من اصلاح اقتصادي شامل . ونحن نحمد الله على ان الودائع قد انهالت على البنك من جانب الافراد ، ثم من جانب الحكومة لحسابها ولحساب مجالس المديريات والمجالس البلدية والمحلية والحسبية ولحساب السلف الصناعية والجمعيات التعاونية والزراعية

وبعد ان كانت هذه الودائع في نهاية سنة ١٩٢٠ مبلغ ٩٦٠ر٢٠٠ جنيهاً اطردت الزيادة سنة بعد اخرى حتى بلغت عام ١٩٢٧ اكثر من خمسة ملايين ونصف مليون من الجنيهات في نفس الوقت الذي بلغ فيه رأس المال مليوناً واحداً من الجنيهات . واستمرت الودائع تزداد وتزداد وهي تحمل معها ثقة اصحابها من الافراد والهيئات ، بادارة البنك وانظمته وانتاجه ، حتى لقد بلغت في نهاية عام ١٩٣٤ اكثر من ١٠ ملايين جنيه عدا ودائع صندوق التوفير التي بلغت في نهاية السنة المذكورة مبلغ ٠٠٠ر٨١٠ جنيه . وهذه الارقام مظهر لهذه الثقة الغالية

قلنا ان بنك مصر بدأ صغيراً كما يبدأ كل شيء ، ولكنه ما زال يتدرج في النمو والاتساع رويداً رويداً وانتشرت فروعه في الاقاليم حتى زاد عددها على العشرين فرعاً ومكتباً وحتى امتلك داره الحالية ودوراً وشوناً اخرى في الاسكندرية والاقاليم

كان البنك ، اول نشأته ، قد استأجر داره الاولى بشارع الشيخ ابي السباع ، وما زلنا نوسعها تبعاً لزحام الاعمال وازدياد الموظفين باستئجار بعض المحال المجاورة حتى رأينا ألاّ بد من تهيئة مكان آخر يكون اوسع وأرحب ، فاشترينا قطعة ارض بشارع عماد الدين مساحتها ١٥٣٧ متراً مربعاً وبنينا فوقها داراً لاعمال البنك وبعض الشركات ، مؤلفة من ست طبقات انتقلنا اليها في ٥ يونيه سنة ١٩٢٧ بعد ان احتوت الدار الاولى طفولة البنك سبعة اعوام سويًّا

ثم لاحظنا ان اتساع الاعمال يسبق بل يفوق ما يتوقعه الظن ويطوف بالخيال فرأينا ان نأخذ عدتنا ونحتاط لحاجة الحاضر القريب والمستقبل البعيد فتعاقدنا مع وزارة الاوقاف على استبدال الارض الواقعة خلف عمارة البنك والبالغة مساحتها ٢٦٤٨ متراً مربعاً ، وشرعنا فعلاً ، ولم نزل ماضين ، في تنفيذ الضروري من التصميم الموضوع لتوسيع الدار توسيعاً ، يجعل مساحة الدار كلها حول فدان تقريباً ويدل على بركة العمل الصالح بلا جدال

مهمة بنك مصر

تختلف اعمال المصارف باختلاف وجهات النظر عند مؤسسيها والقائمين بها

فهناك بنوك اصدار البنكنوت . وبنوك الخصم والايداع . وبنوك الاعمال . والبنوك الزراعية . والبنوك الصناعية . والبنوك العقارية . فلكل عمل من الاعمال المالية الكبرى بنك خاص يقوم به او بتشجيعه او بالاشراف عليه

والتخصص في الاعمال لدى البنوك يأتي عادةً بعد ان تفارق الامة حالة البداءة الاولى . لانه في البداءة ، لا توجد اعمال ، من كل وجهة ، تكفي للتخصص . فكان بنك واحد يقوم بجميع الاعمال . حتى اذا ارتقت نواحي الحياة في الامة ونضج شعورها بكل ما يهمها ، وتحقق لها فعلاً كل مشروعاتها المالية والزراعية والصناعية والتجارية ، واتسعت دوائرها ، وتشعبت اطرافها — جاء دور تقسيم الاعمال على البنوك — التي تكون حينئذ قد كثرت وانتشرت — كلٌّ والعمل الذي يتفق مع الغرض الذي أسس له

وهناك بعض دول في اوربا تفكر الآن فقط ، بنوكها الوطنية في تقسيم الاعمال عليها

وانتم تعرفون ما هي دول اوربا من حيث رسوخ القدم في الصناعة والتجارة

ومصر كانت ولا تزال في حاله بدائية ، غشاها ما غشى من ليل الظروف والمحن ، وظلمات الجمود والركود ، فظلت واقفة في اول الشوط ، معصوبة العين ، لا تدري اي طريق تسلك مع السالكين ، حتى سبقها السابقون ، وتركوها وحيدة في ذيل المتأخرين

ولقد هال « بنك مصر » بلا شك يوم بدأ حملته ، ألا يجد — في الارض أو في السماء ، وفي البر أو البحر — اثراً لعمل مصري صميم ، الا النادر ، يدرأ عن الامة سخرية الساخرين . .

وكيف كان ميسوراً أن يجد ذلك وبلاغ كل عمل رجال ورؤوس أموال ... ؟

أما الرجال — رجال الاعمال — فان التعليم العام ظلّ بعيداً للأسف عن تخريج أمثالهم الا من وهبهم الله الاستعداد الفطري لذلك . واولئك قليل !

وأما المال ، فان أغنياءنا ايضاً ظلوا ممسكين عن المجازفة بأموالهم فيما يهم البلاد

كذلك ظلّ أبناؤنا محرومين من المرانة على أعمال البيوت المالية والشركات المختلفة الاجنبية ، بالرغم من كرم الضيافة التي عاملت عليها بلادنا بكل سذاجة منذ عهد طويل

فكان لزاماً على بنك مصر أن يظهر في الميدان . وأن يبدد هذا الظلام الذي أكتنف الأمة وأحاط بمرافقها من كل ناحية ، وأن يعمل اولاً على أن يستحوذ على « الثقة » وهي ملاك كل أمر نجح ولا تغتصب . وأن يجذب اليه فريقاً من شباب البلد يربي فيهم الكفاية الشخصية وملكة القدرة على القيام بأعماله الجديدة باللغة العربية التي كانوا يحسبونها عقبة في سبيل البنك — حتى إذا تم أن يقف وحده على قدميه أخذ في تحقيق مهمته الكبرى أو بالاحرى في تنفيذ برنامجه القومي — وقد سبق تلخيصه — وهو يتكىء اولاً وأخيراً على أن يقوم بكل شيء وان يفعل للامة كل شيء وأن يسد ما استطاع النقص الظاهر في مرافق البلاد الاقتصادية المختلفة وأن ينير الطريق ويفسح السبيل لاخوانه في الوطنية وان يحمل الأمة على جناح السرعة لكي ينهض بها وان يخطو وإياها خطوات واسعة ليعوض عليها ما فاتها من الزمن سلفاً .. وهو اليوم يفخر بأنهُ انتهى من عامه الخامس عشر وبه من الشبان المصريين المتدربين ٦١٦ شاباً بعد أن بدأ في مستهل أعماله بعشرين فقط

نعم لم يرض أن يكون بنك مصر مجرد بنك كالبنوك الاجنبية الكثيرة في البلد وهي بنوك تستوحي في الغالب سياستها من أمهاتها في الخارج . وقد رأى بنك مصر العبء الذي تركته هذه البنوك فادحاً وثقيلاً ولكنهُ لم يتردد في أن يحمله فحمله وحده بشجاعة وأمانة معتمداً على الله

وسرعان ما لاحت للبنك تباشير النجاح وصادفه التوفيق وطالعه الحظ الحسن فثبت الله اقدامه وعبد الطريق امامه والتفت لحاجات الامة يصورها في صور شركات مساهمة مصرية واحدة أثر اخرى مستقلة عنه في رأس المال وفي الادارة تحمل جميعاً اسم « مصر » برّاً بوعده ووفاء بعهده

شركات البنك

ولم يكن للبنك مفرٌّ من « الاسراع » في تأسيس المشروعات الهامة الضرورية لا سيما وعصرنا الحاضر عصر « سرعة » بكل ما يحتمل معنى هذه الكلمة

وقد يكون هناك بعض الذين يخشون هذه « السرعة » التي جرى عليها البنك في تأسيس مشروعاته ولكن امثال هؤلاء لا يلبثون ان يقتنعوا بأن استمرار تطفل الامة على موائد غيرها يعرّض كرامتها للتجريح الاليم

لقد كان من الخير فيما نعتقد ان نسارع الى عمل شيء من صنع ايدينا وقد وفقنا الله في ذلك فكان لنا في هذه الفترة القصيرة — فترة الخمسة عشر عاماً — ان ركز البنك — في السهل والجبل وفي الشرق والغرب وعلى الماء ومتن الهواء — علم البلاد . . . يخفق تحت الشمس بإسم بنك مصر وشركات مصر بل باسم « مصر » كلها بعد ان طال احتجابه بين الظلام عهداً طويلا

ومهما يكن من شيء فان (السرعة) التي قد يأخذها على البنك بعض الناس قد آتت أكلها باذن ربها والفتح من نتائجها الكبرى ان البنك قد نجح نجاحاً لا شك فيه حتى ليمكننا ان نقرر

البهو الكبير في بناية بنك مصر

باطمئنان انه لم يعش فقط هذه الخمسة عشر عاماً التي نحتفل اليوم بمرورها، بل انهُ قد عاش في الحقيقة وعلى اقل تقدير خمسين سنة اذا قدرنا ما قام به من الاعمال

وهذه شركات مصر ماثلة امامكم نستميحكم ان نسرد اسماءها عليكم ، وان كانت هذه الاسماء قد أصبحت من الشهرة والذيوع بحيث تجري على كل لسان [1] وهي :

عدد	الشركة	عدد	الشركة
١	مطبعة مصر	٨	شركة مصر لمصايد الاسماك
٢	الشركة المصرية لصناعة الورق	٩	شركة مصر للسكتان
٣	شركة مصر لحلج الاقطان	١٠	شركة مصر لاصدار الاقطان
٤	شركة مصر للنقل والملاحة	١١	شركة مصر للطيران
٥	شركة مصر للتمثيل والسينما	١٢	شركة مصر لعموم التأمينات
٦	شركة مصر لنسج الحرير	١٣	شركة مصر للملاحة البحرية
٧	شركة مصر للغزل والنسج	١٤	شركة مصر للسياحة

لم يكن بعيداً ، ايها السادة ، لولا بنك مصر ، ان تتخذ رؤوس اموال هذه الشركات سبيلها خارج بلادنا سرباً ، فيستفيد بها من لا يعطف على مصر ، ومن لا يتصل بها بنسب أو سبب ... ولكان هؤلاء الالوف من العمال والصناع المتعطلين عاطلين يزيدون الخطر الاجتماعي الذي يهدد البلاد

بل إننا لنزعم ان تأسيس هذه الشركات كان حقيقة — كما يقول الناس — عملاً صالحاً ، فقد كان لها جميعاً ابلغ الاثر في بث روح الادخار والتوفير في نفوس الشعب من حيث لا يشعرون

ودليل ذلك انهُ حيثما توجد منتجات شركة من شركات مصر بجانب منتجات مماثلة اخرى — تهبط الاسعار ويحل الرخاء ، ولسنا نزكي منتجات شركاتنا بشيء من الدعاية والترويج ، اذ يغنينا عن ذلك كله ما حازته معروضات شركات مصر من الماليات الرفيعة الشأن في المعارض العامة ، سواء داخل القطر او في البلاد الاوربية ، اعجاباً واستحساناً وتقديراً

***

وبعد ، فبنك مصر وشركات مصر ليست الاّ معاهد للتربية الاستقلالية يكمل فيها الشباب المتعلم علومه بالعمل ، والاراقة عليه ، حتى لقد تكونت منهم طائفة صالحة يمكن ان تعد ذخيرة للوطن

ومن نافلة القول ان نذكر مقدار ما ساهمت به هذه المعاهد في قص اجنحة العطلة ، على قدر المستطاع ، وافتداء البلاد من شرورها الوبيلة

---

[1] المقتطف : تحية مع تقدم البلاد الاقتصادي سوف يعني المقتطف بوصف هذه الشركات من الناحيتين الصناعية والاقتصادية في اعداد متوالية ، وقد اجتزأنا من خطبة طلعت باشا ما تقدم عن شركات بنك مصر مع انه وقف نحو ثلث خطبته النفيسة عليها

ويسرنا كثيراً أن ننوه في هذا الصدد بما قام به بعض المصريين الذين اقتحموا الميدان، وثبتوا فيه، وزعموا لحملي البنك وشركاته، فأسسوا مصانع وبيوتات تجارية وشركات تغتبط بها كما لو كنا نحن انفسنا الذين اسسناها، ونرجو لها دوام المزيد والثبات والتقدم والنجاح...

وكل يوم نرى جديداً في نهضتنا الصناعية والتجارية التي دب دبيبها في نواحي البلاد واصبح الكل مهتمًّا بالمساهمة فيها. ومما يدعو للفخار ان في البلد الآن روحاً قوميًا لتشجيع كل ما هو مصري حتى انقلب الحال واصبح بعض من لاخلاق لهم يحتمي بالمصرية لبيع سلعه الاجنبية باعتبار انها مصرية. وقد اهتمت مصلحة التجارة والصناعة بصالح التجار فاعادت تنظيم الغرف التجارية وانشأت « السجل التجاري » لفائدة التجار وتمييز انواع تجاراتهم وليكون مرجعاً محترماً يمكن الرجوع اليه بين البيوتات التجارية. ونحن نرجو من ورائه ان يكثر في مصر « التاجر » الذي يعرف قيمة الورقة التجارية والذي يحرص كل الحرص على الوفاء حرصه على الاعتبار والشرف. بل هناك اهتمام آخر بالحياة الاقتصادية فان مصلحة التجارة والصناعة التي كانت في اوائل الحرب لجنة صغيرة اوشكت ان ترتقي الى وزارة وتنتظم في عقد الوزارات المصرية

تأثيره في الحياة الاجتماعية

نعيد هنا ما سبق ان قلناه وهو ان البنك لا يريد ان يحتكر القيام بالمشروعات الصناعية او غيرها ويود دائماً ان يظهر بجانبه مصريون يخففون عنه الحمل. ويضطلعون مثله بالمسؤولية وهو على استعداد لان يمد لهم يد المساعدة بكل ما يستطيع ويكفي البنك فخراً انهُ فتح الطريق لكل من يريد ان يسير فيه من المصريين

كما يكفي البنك فخراً ان وجوده بين منعم المصريين وبصرهم: ساعد على تغيير بعض الافكار السائدة فمثلاً بعد ان كانت الجمهرة من ابناء البلاد يستغلون اموالهم في ناحية واحدة من نواحي الاستغلال وهي شراء الاطيان أو يودعون عفواً اموالهم في بنوك اجنبية تذهب ارباحها في جيوب الاجانب التفت الكثيرون الى ناحية اخرى فاستغلوا بعض اموالهم في مرافق بلادهم وساهموا في السندات التي رفعت من رؤوسهم واصبحوا يتيهون بها ويفخرون. بل ومنهم الكثيرون ألفوا اقتناء سندات الدين المصري العام واوراق الشركات الاجنبية. ووجدوا في ذلك مصدراً جديداً للايراد والثروة. وزادت هذه الحركة نشاطاً بدخول المجالس الحسبية في هذا المضمار تثمر اموال عديمي الاهلية بشراء القراطيس المالية المختلفة وخاصة سندات الدين المصري العام

ولا يفوتنا في هذا المقام ان ننوه هنا بملاحظة جديرة بالذكر: وهي انهُ لو كان المصريون افراداً وجماعات تنبهوا فيما مضى الى حصر سندات الدين المصري كلها او معظمها بين أيديهم لكنا الآن محكومة وشعباً في غنى عن مشاكل كثيرة ...!

ونعود فنذكر لكم أن خزائن حفظ الأوراق المالية بالبنك ، تضم في جدرانها من قراطيس الدين العام وأوراق الشركات والبنوك الاخرى سواء لحسابه أو لحساب عملائه من الافراد والهيئات ما يقدر بعشرات الملايين من الجنيهات . وفي هذا دليل على التقدم والتطور وليس ذلك فحسب ولكن هناك أثراً لا يخفى لبنك مصر وشركات مصر فان كثيراً من الناس قبل انشاء بنك مصر لم يكونوا ليعرفوا طريق البنوك ولا التعامل معها بل كانت حدود التعامل بعضهم مع بعض حدوداً ضيقة لا تسمح للثقة ان تقوم بدورها المهم فكان وجود بنك مصر وشركات مصر كافياً لاجتذاب كثير من عملاء البنوك الاخرى اليه وكافياً ايضاً لتشجيع غيرهم على الخروج إلى معاملة البنوك

وفي يقيننا أنهُ كلما كثر عدد الطبقة التي تعامل البنوك وانتشرت هذه العادة عادة التعامل مع البنوك بين العامة والخاصة انتشرت الثقة بين الافراد وقام على الثقة ما يقوم عليها من تنظيم سبل الانتاج في كل نواحي الحياة . بل ان لبنك مصر وشركات مصر أثراً آخر . فقد دعا الناس مجرد وجود هذه المؤسسات وانتشارها في انحاء القطر الى ان ينظروا الى العمل الشريف غير النظرة التي كانوا قد تعودوا ان ينظروا بها اليه من قبل . وهي نظرة الترفع والاشمئزاز ولا سيما اذا كان العمل يدوياً او آلياً غير انيق كل الاناقة او جذاب كل الجاذبية . ولكن هذا الاعتبار العتيق وذاك المقياس المريض بدأ استبدالها والحمد لله بنظر صحيح هو نظر الرجولة الى كل عمل شريف منتج نافع

وليس بعيداً ان تعم هذه العقلية الجديدة وان تغمر كل شيء . كما انه ليس بعيداً ان يتأثر بها جانب حيوي كبير من الخلق المصري فنرى كثيراً من شبابنا المتعلم تعليماً فنياً او عالياً يتقدم الى العمل الآلي في المصانع المصرية التي ستنتشر وفقاً لحاجات البلاد فينزع عن نفسه راضياً لباسه الانيق وزينته من الحلى ويستبدلها عن طيب خاطر برداء العمل والعمال

***

ان التطور الذي ستقبل عليه البلاد لا شك فيه وسيكون لنا من وراثه ان شاء الله رصيد من الاخلاق القويمة والخير الكثير والانتاج الكبير

ونريد ان نشير هنا بوجه خاص الى ما كان من الاثر الفعلي في تعويد عامة المصريين خصلة الاقتصاد في الانفاق تلك الخصلة التي يعتبر تقصها ثغرة فسيحة من ثغرات التربية المصرية عامة

ومهما يكن من شيء فان كل قرش يدخل في ارباح بنك مصر او شركات مصر انما يبقى في البلد لا يتزحزح الى الخارج فاذا تحرك ثانية فحركته بركة للمصريين وفائدة للمصريين

فضلا عن ان هذه المؤسسات تعتقد فوق خصائصها المادية والكسبية انها مؤسسات وطنية لا يغرب عن بالها لحظة ان عليها نصيباً في الاصلاح القومي المنشود

بنك مصر والاجانب

كان همّ بنك مصر اولاً واخيراً ان يكون رأس ماله خالصاً للمصريين وحدهم لكي تكون ادارته مصرية دائماً توجه سياسته لما فيه مصلحة مصر اولاً وقبل كل شيء

وفيما عدا ذلك فان بابه ظل مفتوحاً للجميع فهو يخدم المصري والاجنبي سواء بسواء

والبنك كما جاء في خطبة افتتاحه سنة ١٩٢٠ انهُ لا يضمر عداءً لاحد فهو بعيد كل البعد عن فكرة الانانية والتعصب . بل هو استعان في الواقع بخبرة الاجنبي . واشرك معه بعض الاجانب الذين يتفقون مبدأً وغاية مع مصلحة مصر ، في بعض شركاته كشركة مصر للطيران . وشركة مصر لعموم التأمينات . وشركة مصر للسياحة . وشركة مصر لاصدار الافطان . وليس هناك عيب ، فيما نعتقد ، في الاستعانة بالاختصاصيين من الاجانب ما دام في الامكان ، دائماً وفي كل وقت ، جعل هذه الاستعانة عند حدودها من الخبرة والارشاد والخدمة الصادقة لمصر اولاً واخيراً

ونحن نذكر بالفخر ان علاقاتنا مع البنوك الاخرى ومع الاجانب كانت في الداخل والخارج على ما يرام . كما كانت كذلك علاقاتنا مع مراسلينا في جميع انحاء المعمورة وكان ذلك سبباً في تشجيعنا على انشاء ما يعزز هذه العلاقات ويزيدها وثوقاً ومتانة فاشتركنا في تأسيس بنك مصر — فرنسا في باريس وبنك مصر — سوريا — لبنان في بيروت ودمشق وطرابلس وحمص

ولا يخفى ان فروعنا سواء كانت في مصر او فيما وراء البحار ، انما هي كالسفير بين المصري واخيه المصري وبين المصري وغيره . وما السفير الا رسالة طيبة ودعاية حسنة لو عرف كيف يؤدي عمل السفير . وبنك مصر نفسه اصبح والحمد لله رسالة يقرأ فيها الناس معنى الصدق والحق والثقة . حتى انه لا تؤلف لجنة ، او هيئة ، او مجلس في الحكومة وغيرها الا دعي اليها احد رجال مجلس ادارة البنك . وحتى انه لا يفكر اجنبي أو مصري في مشروع مالي أو اقتصادي بمصر الا خطر له ضرورة الاحاطة برأي بنك مصر فيه ، ثم لا يلبث ان يبادر توًّا الى عرضه عليه

البنك واللغة العربية

هذا اول بنك قومي مصري تأسس بأموال مصرية بحتة . وبادارة مصرية محضة . وقد قررنا ان تكون المراسلات فيه ، بينه وبين عملائه باللغة العربية ، وان تكون حساباته باللغة العربية فهزأ بنا الهازئون وقالوا «ان المحاسبة من واردات الغرب . وانها فنٌّ من فنونه غير قابل للانتقال الى الشرق بغير لغة من لغات الغرب» . ولكننا اهملنا استهزاءهم وأجرينا مراسلاتنا وكتبنا تقاريرنا باللغة العربية . وانا اؤكد انا ما وجدنا صعوبة في ترجمة معنى من معاني هذا الفن او في تقريب اصطلاح من اصطلاحاته . وكان مما ساعدنا على سهولة التطبيق في العمل ان كانت قد انشئت قبيل الحرب مدرستان للتجارة تكونت فيهما طائفة من الشبان تلقوا العلم فيها باللغة العربية فسهل قيادهم في حياة البنك العملية»[١]

(١) هذه الفقرة الاخيرة مقتطفة من خطبة سابقة لطالما نشرت في مجموعة خطبه التي صدرت سنة ١٩٢٨